



إباشة جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والخدام المكرسين

مايو ٢٠١٤

أحبائي،

المسيح قام .. بالحقيقة قام.

أكتب إليكم هذا الخطاب بعد إنقضاء بضعة أسابيع من الخماسين المقدسة لأرى مدى تأثر أرواحكم الآن بفضائل النسك والإنسحاق وحياة الصلاة منذ نهاية الصوم الكبير.

تتميز هذه الفترة بالأيام المفرحة والتي نحتفل فيها بالمسيح القائم؛ إحتفال بالتححرر، والخلص، والإستنارة. إحتفال غير مقرون بالظلمة التي سبقت وقيّدتنا بإنساننا العتيق. لذلك دعونا نُفكّر ملياً أين نحن من وعد القيامة ولنرى لو أن قلوبنا وعقولنا ثابتين للسير "كإنسان جديد" في جِدّة الحياة كمخلوقات روحية وليست جسدية.

كما قال القديس بولس الرسول "المدعوين ليكونوا قديسين" (رومية ١ : ٧). لننمو كشبه ربنا يسوع المسيح - لكن كما سبق وذكرنا في الرسائل السابقة - لو أننا غفّلنا ولم نكن واعين للنعمة الممنوحة لنا، فسوف تنقضي حياتنا الرهبانية ونجد أنفسنا خارجاً قارعين في يوم الدينونة.

يقول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس "حقاً يا أبنائي، أن قلبي مندهش وروحي مرتعبة، لأننا أُعطينا الحرية أن نختار وأن نعمل أعمال القديسين، ولكننا قد سكرنا بالأهواء والشهوات كالسكارى بالخمير." ^١ يا لهذه الحقيقة المؤسفة!

^١ رسائل القديس أنبا أنطونيوس - في تحرر الروح الرسالة الخامسة

لا شيء بل الأعداء يقف حائلاً بيننا وبين كمال القديسين لأننا كثيراً ما نعيش وكأنَّ يوم تكريسنا كان يُمثِّل العبور الأخير من الموت إلى الحياة، وبدون إنتباه، نسلك بتهاون في تنفيذ نذورنا الرهبانية. هذا هو الخطر الذي نواجه إذا ما قبلنا حياة الإهمال وأصبحنا مُتغافلين للجهد الذي هو أساس حياتنا كرهبان.

لذا، فلنسأل أنفسنا: كيف يمكننا أن نمنع هذا الإنحدار الروحي وكيف نحيا بأمانة في رجاء قيامة ربنا يسوع المسيح؟

دعونا نجيب على هذا السؤال في ضوء نذورنا الثلاثة الرهبانية وحياتنا قبل وبعد التكريس.

"عَظِيمٌ مَنْ زَهَدَ فِي الإِقْتِنَاءِ عَنْ تَقْوَى؛ لَكِنَّهُ قَدِيسٌ مَنْ زَهَدَ فِي مَشِيئَتِهِ."^٢

يمكن تحليل هذا القول في أربعة أجزاء:

- ١- إختيار الحياة الرهبانية
- ٢- ترك العالم وكل مقتنياته المادية
- ٣- الإستمرار في إنكار الذات
- ٤- الإرتقاء إلى درجة أعلى في التجرد والتي هي إنكار المشيئة

نتفق جميعاً على أننا قد نفذنا الاختيارين الأولين، والآن ماذا عن الإثنين الآخرين؟

بالنسبة إلى الماديات، لو أننا نظرنا في قلاياتنا، هل سنقول أننا نملك أشياء أقل، أم مثل، أم أكثر مما كان لدينا عند بداية دخولنا الدير؟ كم من هذه الأشياء نستطيع أن نقول أنها من الضروريات وكم منها غير ضروري. فلنفكر ونرى - كرهبان نذرنا الفقر الإختياري - أين نحن من الفقراء؟ دعونا نهض من تحت تل المقتنيات لتتبع خطوات الذي "لَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ" (متى ٨ : ٢٠).

بالنسبة إلى التخلي عن مشيئتنا، أود أن نفحص أنفسنا، وأن نعترف وأن نقبل أي ضعفات وأن نقوم كل يوم من كل سقوط. هل عبّرنا عن رأينا بخصوص فعل شيء مُخالف لما طُلب منا؟ هل إعترضنا عن الأشياء غير المُحبَّبة لنا وسعينا إلى الأشياء المفضلة لدينا؟ هل أنكرنا ذواتنا من أجل سعادة أخي أو أختي؟ هل حاربنا ضد رغبتنا في الدفاع عن أنفسنا، أو طلب الإحترام، أو السعي وراء المديح؟ دعونا نتوقف للحظة

^٢ القديس يوحنا الدرجي - السلم إلى الله - الدرجة السادسة عشر في محبة المال، والزهد في الإقتناء. ص ٢١٥.

لنرى أين نحن الآن بالمقارنة "بإنساننا العتيق" ولنرى هل هناك ثمة تَغْيُرٌ حقيقي أم أننا نسلك تماماً كما كنا نفعل عندما كنا مقيدين بهموم العالم. يا أحبائي، فلنهنض ونتذكر ربنا يسوع المسيح الذي بإنكاره لذاته، منحنا قوة القيامة "لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِقَفْرِهِ" (٢ كورنثوس ٨: ٩).

"لَيْسَ مَنْ حَفِظَ طَيْنَ جِسْمِهِ بِلا اِتِّسَاخٍ هُوَ طَاهِرٌ،
بَلْ مَنْ أَخْضَعَ لِنَفْسِهِ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ إِخْضَاعاً كَامِلاً."^٣

فترة الصوم الكبير ليست هي فترة توجيهات أو إرشادات عن المعنى الحقيقي للصوم؛ فالكثير من العظات تحدثنا عن كيفية الإمتناع الصحيح ورفض الملذات ومختلف المأكولات أثناء فترة الصوم الكبير. ولكن، كما تعلمون يقيناً، توجد درجة أعلى في الصوم تمتد إلى ما هو أَسْفَى من مجرد الأكل والشراب كما يقول القديس يوحنا الدرجي: "لا تعتقدوا أن مجرد الإمتناع عن الأكل سيحفظكم من السقوط فالكائن الذي طُرِدَ من السماء لم يكن يأكل البتة"^٤ - وهذه هي الدرجات التي نتحدث عنها عندما نتكلم عن نذر العفة.

إن نذر العفة ليس مجرد دعوة لحفظ أجسادنا طاهرة بل حفظ قلوبنا، وعقولنا، وكلامنا، وأفعالنا نقية. فإن إنساننا العتيق لم يحسب هذه الأشياء في عقله وأستسلم بسهولة لمثل هذه الأشياء: الغضب، الغيرة، الحسد، النميمة، التفاخر، الصراع. ولكن إنساننا "القائم" الجديد لم يعد يقبل مثل هذا السلوك. "إكبح لسانك بحدّةٍ عن المجادلات، صارع هذا المستبد سبعين في سبع مرات كل يوم."^٥ وفي كل مرة نسقط، نهض بسرعة مع ربنا يسوع المسيح، سالكين بالإتضاع لكي "نلبس الرّبَّ يسوع المسيح، ولا نصنع تدبيراً للجسد لأجل الشهوات" (رومية ١٣: ١٤).

"الطاعة هي قبر للمشيئة وقيامه للإتضاع."^٦

عندما إنتهلتنا نعمة الله من هموم هذا العالم، إنخرطنا في السلك الرهباني كخليقة جديدة مرتضين أن نجوز في نيران التطهير لكيما نُشكَّلَ إلى إنسان جديد متجدد ومتحرر من عبودية الخطية وأن نحيا كأبناء النور. في بداياتنا، كنا غيورين لطاعة أصعب التوجيهات ولكن مع مرور الوقت، يبدأ المنطق الشخصي

^٣ القديس يوحنا الدرجي - السلم إلى الله - الدرجة الخامسة عشر - في الطهارة والعفة. ص ١٨٨.

^٤ القديس يوحنا الدرجي - السلم إلى الله

^٥ القديس يوحنا الدرجي - السلم إلى الله - الدرجة الرابعة - الطاعة المغبوظة. ص ٨٢.

^٦ القديس يوحنا الدرجي - السلم إلى الله - الدرجة الرابعة - الطاعة المغبوظة. ص ٦٣.

يسود، وننسى غيرتنا الأولى ونعتقد أنه من الطبيعي أن نطيع فقط أولئك الذين نحيم ونتفق معهم. يا أحبائي، بالطبع تعلمون أنه بفعل ذلك نكون غير أمناء في نذر الطاعة الذي قطعناه على أنفسنا.

كان إنساننا العتيق يصارع لحقوقه ولكن إنساننا الجديد قد مات عن رغباته المادية وقام مع ربنا يسوع المسيح ولا يسعى لما لنفسه – "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى ٧ : ٢١). دعونا، إذن، نقوم ونسلك بإتضاع تجاه إخوتنا وأخواتنا، نقطع أهوائنا، ونطيع مشيئة أبانا الذي في السموات "أنا أسمع له، لأنه لم يهملني لكنه عضدني وأنقذني".^٧

بقيامه السيد المسيح، أصبحنا خليقة جديدة ولم نعد نمارس عوائدنا القديمة ولا نعد نتذكر خطايانا السابقة لكن بالحري نقوم معه واثقين أننا مغفوري الخطايا ومنتصرين. إذن "قُومِي يَا حَبِيبَتِي، يَا جَمِيلَتِي وَتَعَالِي" (نشيد الأنشاد ٢ : ١٠) ولنحيا في فرح القيامة الذي يرفعنا من الخطية إلى الحياة – "يسقت البشر، ولكن بإمكانهم القيام مرة ثانية بسرعة كلما يسقطون. الشياطين والشياطين فقط، لا يستطيعون القيام أبداً متى سقطوا".^٨

يقول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس "لم يخلو جيل ممن وصلوا إلى حالة الكمال، ولن تخلو الأجيال الآتية منهم".^٩ لذلك دعونا نجدد عهد رهبانيتنا كل يوم ونكف عن إختلاق المبررات لتصرفاتنا الجسدانية. لأنه مع كل مبرر نختلقه، يوجد مقابله قديس قد انتصر في ظروف أشد صعوبة مما نحن فيه.

لنُقم ولننتجدد، نحن اليوم نحتفي بالرهبة كحياة جديدة مع المسيح القائم – إذا تدمرنا، دعونا نقوم وننكر مشيئتنا؛ إذا أدنا، دعونا نقوم ونكون يقظين في أفكارنا؛ إذا عصينا، دعونا نقوم ونطيع. فلنرفض بحرص شديد ما هو قديم ونتمسك بما هو جديد لأن "مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ" (أرميا ٤٨ : ١٠).

فليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

^٧ رسائل القديس أنبا أنطونيوس – الرسالة ١٩

^٨ القديس يوحنا الدرجي – السلم إلى الله – الدرجة الرابعة – الطاعة المغبوظة. ص ٧٨.

^٩ رسائل القديس أنبا أنطونيوس – الرسالة ١٣